الجذور الفكرية للفتوح العربية الاسلامية في كتاب الفتوح العربية للمستشرق هيو كينيدي

The Intellectual Roots of the Arab Islamic Conquests in Hugh Kennedy's Book of the Arab Conquests

رزاق حسين عبد معين

razaqhum123@gamil.com

أ.د. عمار محمد يونس

جامعة كربلاء– كلية التربية للعلوم الانسانية

الجذور الفكرية للفتوح العربية الاسلامية في كتاب الفتوح العربية للمستشرق هيو كينيدي

رزاق حسين عبد معين
أ.د. عمار محمد يونس

ملخص باللغة العربية:

اتكأت الفتوح العربية الاسلامية على مجموعة من الجذور الفكرية بشقيها القرآني والروائي وكان الغرض منهما على ايّة حال بناء مرتكزات شرعية يمكن في ضوئها أن تشرّعن الفتوح المذكورة. واعتمدوا في بناءها على نخبة مختارة من الآيات القرآنية الكريمة التي كانت ذات صلة وثيقة بظروف وحالات محددة، ولا تصلح لان تكون قواعد عامة واجبة الاتباع في زمان ومكان.

English Summary:

The Arab and Islamic conquests rested on a group of intellectual roots, both of which are Qur'anic and narrative, and the purpose of them, in any case, was to build legal foundations in the light of which they could legitimize the mentioned conquests. In constructing it, they relied on a selection of noble Qur'anic verses that were closely related to specific circumstances and cases, and were not suitable for being general rules that must be followed in a time and place.

الكلمات المفتاحية: الجذور الفكرية – الفتوح – الروايات التاريخية

Keywords: intellectual roots - conquests - historical narratives

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين النبي الكريم محمد بن عبد الله وعلى آله الطيبين الطاهرين وبعد.

من الراكز عقلاً أن لكل حركة تاريخية مرتكزات فكرية تستخدمها النخبة الارستقراطية لإدارة مفاصل هذه الحركة من جميع جوانبها بما في ذلك الناحية الايديولوجية التي توجهها بالطريق الذي رسمته. وبمعنى من المعاني فإنه لا بد للنخبة الحاكمة التي قادت الفتوح او المنتفعين منها التأسيس للناحية الفكرية حتى تتحكم– على الاقل– بقسم لا بأس به من

القواعد الشعبية. ولكي تنجح النخبة المذكورة بدورها وتبدو تحركاتها مقبولة لا بد أن يكونوا مقنعين للجماهير بأنهم لا يتحركون إلا تحقيقاً لمصلحة الاسلام والمجتمع العربي الاسلامي؛ حتى تتحرك الجماهير نحو الهدف المنشود.

وفي موضوع الفتوح العربية الاسلامية فإن النخبة التي قادت هذه الحركة استخدمت النص القرآني بعد قَصر مفهومه عن الجهاد في الحرب(بالأسلوب القبلي) والتكليف بنشر الاسلام على العرب وحدهم، واعتبارهم امة مكلفة من الله بذلك. وفي نفس الوقت شكلت ثمة روايات مخزوناً روائياً داعماً بشكل او بآخر للنصوص القرآنية تلك؛ في مسعى واضح لشرعّنة انطلاقهم خارج حدود شبة الجزيرة العربية، وبث الروح المعنوية بجحافل الجيوش الفاتحة؛ بلحاظ كونهم الصحابة المقربين من النبي ونقلوا عنه ما قيل بأنها نصوص حاثّة على الجهاد(بمفهومه المطبق بعد النبي). إذ انمازت تلك النصوص الروائية بانها مقنعة بشكل او بأخر لعموم المتلقين، بالذات أذا ما لوحظ استخدام القادة لهذه النصوص في سوح الوغى؛ مما يعطي زخماً نفسياً للمقاتلة.

ونظراً لعدو وقوف الباحثان على عنوان مماثل فقررا دبجه بعنوان: **(الجذور الفكرية للفتوح العربية الاسلامية في كتاب الفتوح العربية لكينيدي)**. وتضمن البحث المذكور من مقدمة وفقرتان واستنتاجات، إذ تمحورت الفقرة الاولى عن النصوص القرآنية التي طالما استعملها النخب العسكرية والمدني العربية؛ لإقناع المسلمين بمشروعية الفتوح. بينما وقف المبحث الثاني معرجاً على النصوص الروائية التي اسهمت بإقناع الجمهور بأن العرب المسلمين مكلفين من السماء بنشر الاسلام خارج الحدود.

وافادت الدارسة من العديد من المصادر التاريخية مثل كتاب تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري(ت: ٣١٠هـ/٩٢٢م). والذي كان المصدر الاساس في الدراسة ؛ كونه اكثر شمولية من غيره من المصادر الاخرى، وتضمن ايرادات للخطب التي كان القادة الفاتحون يلقونها على مسامع المقاتلة قبيل الحرب. استمدت الدارسة فيما يتعلق بتفسير النصوص القرآنية من كتب التفسير المتعددة منها كتاب جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير الطبري. والذي انماز بعرضه لعديد الآراء التي تخص الآية الواحدة مع عرض لغوي وتفسيريّ وافٍ. وعُدّ كتاب التبيان في تفسير القرآن لمحمد بن الحسن الملقب بالشيخ

الطوسي(ت:٤٦٠هـ/١٠٦٧م). الذي لم يقل قيمة وغزارة علمية عن سابقه، ذا اهمية بالغة، اذ اورد كما سابقه الكثير من المعلومات التاريخية المفيدة في مَعرِض تفسيره للآيات القرآنية الكريمة ذات الصلة بموضوع الفتوح.

وكان ايضاً كتاب (مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي) لعبد العزيز الدوري ذا اهمية كبيرة اذ وقف وبشكل جيد على الظروف المادية والواقعية لخروج العرب من جغرافية شبة الجزيرة العربية. اما كتاب مشروع رؤية جديدة للفكر العربي في العصر الوسيط، للطيب تيزني ذا اهمية كبيرة في الوقوف على الاسباب المادية التي قادت العرب للتأسيس لحملات الفتوح.

اولاً/ الجذور القرآنية:

قبل الولوج الى صلب الموضوع لا بدّ للباحثان أن يقفا بشكل مقتضب على سيرة المستشرق كينيدي. فهيو كينيدي(Hugh .Nigel Kennedy) هو مستشرق انكليزي ولد عام(١٩٤٧م) في بإنكلترا. واكمل دراسته في التاريخ ونال شهادة الدكتوراه، وذلك في سنة (١٩٧٧م) من جامعة كامبريدج عن اطروحته الموسومة: (السياسة والنُخب السياسية في الخلافة العباسية الباكرة)[١].

ثم اخذ يمارس دوراً مهنياً في جامعتي كامبريدج ولندن ونال عضوية العديد من المؤسسات البحثية والعلمية المهتمة بالاستشراق في بريطانيا او خارجها. فمثلاً انتخب زميلا للجمعية الملكية في ادنبرة (Fellow of the Royal Society of Edinburgh)، وذلك في سنة(٢٠٠٠م). واصبح زميلاً للأكاديمية البريطانية (Fellow of the British Academy)، وذلك في تموز سنة (٢٠١٢م). واصبح بعدها زميلاً للجمعية الملكية الاسيوية(Fellow of the Royal Asiatic Society). واصبح اعتباراً من العام(٢٠٠٧م) والى الآن استاذاً للدراسات العربية في جامعة لندن بكلية الدراسات الشرقية والافريقية(School of Oriental and African Studies) والتي يرمز لها اختصاراً (SOAS) التي تأسست عام (١٩١٦م)[٢].

اما مؤلفاته العلمية فقد بلغت عشرات الكتب والبحوث العلمية التي الفها بنفسه او بالاشتراك مع باحثين من مختلف دول العالم. وانماز باستقراء دقيق للنصوص التي اوردتها

السرديات العربية. وظهرت الكثير من تحليلاته دقيقة في كثير من جوانبها. بفعل المامه لأكثر من لغة وسعة علمه واستيعابه للأحداث التاريخية[٣].

وفيما له صلة بالجذور القرآنية فقد طرح كينيدي[٤] إشكالية حول ماهيّة الجهاد في الاسلام وتساءل فيما اذا كان نضالاً روحياً او عنفاً؟. واعتبر ان القرآن الكريم يحمل في ثنايا آياته متعددة برسائل مختلفة، فهناك آية قرآنية اعتبرها حاثّة على اسلوب الحوار والاقناع، ومنها قوله(ﷻ): ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[٥][٦].

وهناك آية اخرى فهم منها كينيدي[٧] بأنها تحذير للمسلمين الذين لم يشتركوا في الجهاد بأنهم سوف يخسرون فوائد النصر الدنيوي، وثواب الاخرة. فذكر قوله(ﷻ): ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا*وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[٨][٩].

واعتبر كينيدي[١٠] أن ثمة آيات قرآنية ركزت على الجانب الروحي فقط واعتبرها– بالاتكاء طبعاً على كتب التفسير– دالة على الثواب الآخروي، نظير قوله(ﷻ): ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ*إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١١][١٢].

ويرى كينيدي[١٣] أن في القرآن الكريم آيات كريمة دالة على جواز استعمال العنف مع غير المسلمين، واعتبرها المحركة والمتكئ الشرعي للفتوح الاسلامية. وذلك في قوله(ﷻ): ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١٤][١٥].

وذكر كينيدي[١٦] انها نسخت بآية كريمة تعطي تعاملاً خاصاً مع اهل الذمة، اذ اباحت لهم البقاء على دينهم شرط دفع الجزية وهي:﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[١٧][١٨].

ومن الجدير بالملاحظة أن الرغبة في تذكر ايام العرب والمجد الفردي للعرب ممزوجاً بالرغبة الدينية؛ وذلك عن طريق استعمال النص القرآني إذ لما تختمر عند العرب قيم السماء بعد. فهذا ربيع بن البلاد السعدي[١٩] قد جسّد هذا الاتجاه فقال: **(يا معاشر العرب قاتلوا للدين والدنيا)**[٢٠] ثم تلا الآية القرآنية: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [٢١] ثم ذكرّهم ربيع هذا بأخبار العرب القديمة فقال لرفع حماسهم: **(وإن عَظّم الشيطان عليكم الامر فاذكروا الاخبار عنكم بالمواسم ما دام للأخبار أهل)**[٢٢]. بمعنى أن كينيدي[٢٣] يرى أن الرغبة في الحصول على الشهرة والمجد دافعاً مهماً في الفتوح ليست اقل من الغنائم، وهناك عادة كانت الاموال والعبيد والسبايا فهو امر بالغ الاهمية لا سيما شمال افريقيا.

وكانت العلة في رغبة الفاتحين بسبايا شمال افريقيا وهن البربريات هو ما افاد ابو العينين[٢٤] في صفاتهن المحببة فقال: **(والبربريات مطبوعات على الطاعة، نشيطات للخدمة، ويصلحن للتوليد لأنهن احب الاناث على الأولاد، واذا اجتمعت للبربرية جودة الجنس، وشكل المدنيات، وخنث المكيات، وآداب العراقيات، فإنها تستحق أن توضع في العيون وإن تُخبأ في الجفون)**.

واعتقد كينيدي[٢٥] أن الفقهاء المسلمين هم مَنْ رسخ مفهوم الجهاد عن طريق اعتبارهم بأن الآيات القرآنية الحاثّة على قتال الكفار، بلا قيود ، واعتبارها جاءت بعد الآيات المشجعة على الدعوة والجدل. بمعنى أن الآيات الحاثّة على الجدل لا تعمل؛ كونها منسوخة. واعتبر أن الآيات القرآنية سنداً نصيّاً داعماً للمسلمين في محاربة الكفار، لكن لا تقترح الخيار بالإسلام او القتل فقط، بل الخيارات الثلاث الاسلام او الجزية او القتال. فأعتبر أن الحثّ القرآني هو التبرير لتوسع السلطة الاسلامية على حساب الكفار اينما كانوا، لكن لا تبيح هذه الآيات القرآنية استخدام القوة؛ لفرض الاسلام على غير المسلمين، وبالنتيجة بما أن القرآن قد قدّم الثواب الآخروي أي النعيم اكثر من النجاح الدنيوي المادي، فبهذا اصبح القرآن الكريم حسب قوله يقدم التبرير الايديولوجي للفتوحات الاسلامية[٢٦].

ويرى كينيدي[٢٧] أن الرسائل التي حملتها الآيات القرآنية تم تبسيطها في قاعدة تقريبية وفرت التبرير للفتوح، أي أنها جُيرت لصالح الفاتحين. ودليل ذلك أن احد العرب عندما

خاطب الفرس قائلاً: **(امرنا أن نبدأ بمن يلينا من الامم فندعوهم الى الانصاف، فنحن ندعوكم الى ديننا، وهو دين حَسّنَ الحَسِن، وقبّح القبيح كله، فإن ابيتم فأمر من الشر هو اهون من آخر شر منه الجزاء، فإن ابيتم بالمناجزة، فإن اجبتم الى ديننا خلّفنا فيكم كتاب الله واقمناكم عليه، على أن تحكموا بأحكامه، ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم، وأن اتقيتمونا بالجزاء قبلنا ومنعناكم، والا قاتلناكم)**[٢٨].

ثانياً/ الجذور الروائية:

اعتقد كينيدي[٢٩] أن الموروث الروائي الذي نُسِبَ الى النبي استعماله هو احد الاسس التي بُنيت عليه ايديولوجيا الفتوح العربية ابّان عصر الخلفاء الثلاثة الاوائل. فالنص الذي روي عن المغيرة بن زرارة [٣٠] في كلامه مع رستم، كُتِب ليضع اطاراً شرعياً للخروج خارج شبة الجزيرة العربية ، اذ قال زاعماً أن كلامه عن النبي فقال: **(وقال من تابعكم على هذا فله ما لكم وعليه ما عليكم ومن أبى فاعرضوا عليه الجزية ثم امنعوه مما تمنعون منه أنفسكم، ومن أبى فقاتلوه فأنا الحكم بينكم فمن قتل منكم أدخلته جنتي، ومن بقى منكم أعقبته النصر على من ناوأه فاختر إن شئت الجزية عن يد وأنت صاغر، وإن شئت فالسيف أو تُسلِم فتنجي نفسك)**[٣١].

ونقلوا نصّاً آخر فَهِمَ منه المستشرق المذكور أن النبي امرهم بنشر الاسلام عن طريق الفتوح، جاء فيه: **(ثم أمرنا أن نبدأ بمن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الانصاف فنحن ندعوكم إلى ديننا وهو دين حسن الحسن وقبح القبيح كله، فإن أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه الجزاء، فإن أبيتم فالمناجزة فإن أجبتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله وأقمناكم عليه أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم وإن أتقيمونا بالجزاء قبلنا ومنعناكم، وإلا قاتلناكم)**[٣٢].

وبطبيعة الحال أن النصّان المذكوران فيما سبق ليسا صحيحين البتة؛ لأنهما يؤسسان لفهم ازاحي واقصائي للآخر. والحقيقة لو كان هذا النهج هو الاجدى والواجب فعله لمِا تأخر النبي عنه. ويبدو للباحث أن هاتين الروايتين قد وضعتا فيما بعد وبشكل مقصود؛ لاكتساب الاندفاع نحو الشرق والغرب وتقديم التبرير المناسب لا اكثر، ولم يقلهما النبي ابداً.

واشار كينيدي[٣٣] الى موضوع مهم ووقف عليه في ضوء السرديات العربية وهو التعارض الكبير بين ادعاء مشروعية الفتوح وبين افعال الفاتحين في المناطق المفتوحة. اذ وقف على اعمال القتل والنهب والسلب مثلما فعل خالد بن الوليد[٣٤] في العراق[٣٥]، وعمرو بن العاص[٣٦] في مصر[٣٧] وغير ذلك في مناطق متعددة من المشرق مما تزخر به مصنفات المسلمين.

واعتبر كينيدي[٣٨] أن غزوات الرسول كانت بداية الفتوح الاسلامية بمعنى من المعاني، وعدّ أن هذا الامر هو امراً صنو الدعوة الاسلامية؛ لاجل الدفاع عن الدين الاسلامي وبناء الدولة الجديدة. أي بتعبير أخر أن الاسلام اجاز استخدام القوة في هذا الطريق؛ فهو لاجل التغيير فأعتبره امراً مقبولاً.

ويبدو للباحث أن المستشرق كينيدي قد وقع في تحت تأثير الفهم الازاحي والاقصائي– الذي دوّن بعد هذه الاحداث التاريخية المهمة– ليصبح كاسياً لظاهر الآيات القرآنية التي بررت الفتوح حسب رأيه، ونُقِلت في كتب التفسير. ولا تثريب على الرجل فهو ليس عربياً او مسلماً ليقف على الحقية المطلوبة، فهو نقل ما وجده من افكار خاطئة في المصادر الاسلامية.

ويرى كينيدي[٣٩] أن العلاقات الدبلوماسية لها ابلغ الاثر في حياة النبي، فهي هي مَنْ جعلت الناس في اليمن وعُمان يدخلون الى الاسلام وليس السيف او القوة. ويدعم ذلك ما ورد عن النبي بأنه ارسل خالد بن الوليد الى قبيلة همدان؛ ليدعوا الناس الى الاسلام، فبقى ستة اشهر دون فائدة تذكر، ويبدو أن دعواه لم تكن مبينة على اسس سليمة بدليل دخول القوم الى الاسلام بمجرد مجيء الامام علي وصلاته بالقوم صلاة الفجر وتلاوته لكتاب النبي عليهم[٤٠]؟!.

وارسل النبي رسالة الى وائل بن حجر[٤١] يدعوه وقومه الى الاسلام ويفصّل لهم الاحكام الشرعية بأسلوب لين وجميل كدليل على النهج الواجب اتباعه، جاء فيها: **(انك إن أسلمت لك ما في يديك من الأرض والحصون، ويؤخذ منك من كل عشر واحدة ينظر في ذلك ذوا عدل، وجعلت لك ألا تظلم فيها معلم الدين والنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون أشهاد عليه)**. فاسلم الرجل وقومه[٤٢]، ثم ارسل له ملوك حمير ودخلوا في الاسلام طائعين[٤٣].

وذكر كينيدي[٤٤] أن المصادر الاسلامية جاهدت لإضفاء نوع من المثالية على الخلفاء الثلاثة الاوائل بالذات، وعلى الدولة الاسلامية عموماً، في ضوء تصويرهم الفتوح الاسلامية على انها اهم منجزات الخلفاء والقادة العسكرين، واضفت المثالية في مسألة العدالة في توزيع الغنائم.

وعالج كينيدي[٤٥] ماهيّة الفتوح وذكر بأنها ليس مجرد تدفق لجحافل البدو الجامحين، فقد كانت الحملات تجري تحت قيادة نخبة من الرجال من ذوي المقدرة والحزم، بحيث يعينون من المركز، ويعزلون منه. وهؤلاء هم طبعاً النخبة العسكرية الجديدة، وهم الاغلب من المهاجرين، على النقيض من الانصار فهم اقل حظوة في القيادة العسكرية، وكان اكثر هؤلاء القادة من قريش الذين دخلوا الاسلام بعد فتح مكة. وقد نالوا مكافآتهم على شكل اقطاعات ومناصب مهمة في الدولة[٤٦].

واعتبر كينيدي[٤٧] أن إصرار الخلافة على المرتدين بضرورة تسديدهم الزكاة المستحقة عليهم الى الدولة، قد فتحت الباب على مصراعيه للفتوحات العربية. فلو تركت السلطة الامور على حالها، ولم تحرك ساكن لإجبار المعارضين على الخضوع لم تحدث الفتوح كما حدثت بهذه الكيفية. واعتبر أن القرار باستخدام القوة ضد المرتدين امر يتعلق بالسلطة وهيبة الدولة؛ لذلك شرعوا بمقاومتها بكل قسوة واستخدمت الخلافة خالد بن الوليد لسحق بني حنيفة في اليمامة. ثم ارسلوه لمساندة المثنى بن حارثة الشيباني[٤٨] على جبهة العراق في هجماته على اطراف الدولة الساسانية، وارسلوا عمرو بن العاص لإخضاع القبائل جنوب بلاد الشام وظل ضمن القيادة العسكرية للفتوح هناك.

وربط كينيدي[٤٩] بين حركة الفتوح واستقرار الدولة الاسلامية، فهو يرى بأنه ليس ممن الممكن أن تبقى حدود الدولة آمنة ضمن جغرافية شبة الجزيرة العربية وبلاد الشام. وعلل المستشرق ذلك بأن التكوين الاجتماعي للدولة العربية الاسلامية كان من فئتين احدهما: بدوية اعتادت بشكل دائم على اسلوب الاغارة على اطراف المدن، وهذا الامر حرّمه الاسلام، وثانيهما: وهم سكان المدن الحضرية المستقرة.

وبالتالي اعتبر كينيدي[٥٠] انه لم يكن بالإمكان نبذ الاسلوب البدوي في العيش، وهذا الامر اخذ ينذر بالخطر الداهم على الدولة ويهدد بتفككها او أن تقوم النخبة العسكرية

المسلمة بتوجيه طاقات البدو خارج شبة الجزيرة العربية بالذات بعد اخماد حركة الردة. وبالتالي ألقت الدولة او النخبة العسكرية بالطاقات البدوية العسكرية ضد جيرانهم من البيزنطيين والفرس؛ في سعي منهم لتجنب حالة الاحتقان والانفجار الداخلي الذي توجسوا منه خيفةً؛ بسبب الاوضاع السياسية والاقتصادية بشكل عام؛ لذا كانت البداية من مقارعة المرتدين، ويريد كينيدي القول أن حروب الردة كانت مقدمة للفتوح.

وبعد القضاء على ممانعة المرتدين انضمت القبائل المرتدة للدولة، واعلنت استعدادها لطاعة الخليفة عمر، واعلنت بوضوح عن رغبتها في المشاركة بالفتوح، وهذا الامر دّل ان نزوع القوم كان مادياً للحصول على مغانم الحرب لا اكثر، والا فكيف هبط عليها الايمان دفعة من قبيلة لا تعترف بسلطان الدولة الى مساندةً لها، الا بعد التعهد بالمشاركة بمغانم الفتح؟!![٥١].

وثمة هدف آخر في الفتوح الاسلامية كما اورد كينيدي[٥٢] هو رغبة العرب في تخليص الرعايا الفرس من الطغيان، واتضح ذلك في عبارة قالها ربعي بن عامر الى رستم: **(والله جاء بنا لنخرج من شاء من عباده)**. ويرى كينيدي[٥٣] انه ليس دائماً يطرح الغرض الديني كدافع اساسي للفتوح، بل هناك الشعور بفخر العروبة فهذا سعد بن ابي وقاص[٥٤] يستحث القوم لاستنهاض الانتماءات القبلية فيهم قائلاً: **(وانتم وجوه العرب وأعيانهم وخيار كل قبيلة)**[٥٥].

وفي الاعوام الاولى من الاسلام كانوا ينعتون من يسقط قتيلاً منهم بالشهيد، ويذهب الى الجنة، وهناك قصص تحكي عن مسعى العديد من الناس الى نيل الشهادة، ومنهم رجل من بني تميم يحمي قومه، فهاجم العدو. وهنا اعتبر كينيدي[٥٦] أن طلب الشهادة كان متشحاً بالتضامن القبلي.

<u>الإستنتاجات:</u>

بعد فراغ الباحثان من بحثهما المتواضع هذا وجدا من المناسب تسجيل الاستنتاجات الاتية؟

* عمدت النخبة الحاكمة وبوضوح الى استعمال النص القرآني بشكل اقرب الى تعميم المدلول النصيّ بدل من جعله خاصاً بحادثة ما. وكذا الحال مع الاحاديث التي نسبت الى

النبي؛ لاجل شرّعنة افعالهم واضفاء المقبولية عليها أمام الجماهير لدفعها الى الأمام كما لو كانت الفتوح مسألة واجبة التنفيذ.

* لم تكن العوامل الدينية هي المحركة للفتوح بل هناك ثمة محركاً اخر وهو الدافع القبلي، إذ كثيراً التضامن القبلي جنباً الى جنب مع العامل الديني.

* قادت الانتقائية في التفسير النصيّ للقرآن الكريم والاحاديث النبوية او الاحداث التاريخية الى بناء منظومة فكرية داعمة للسلطة الحاكمة في توجهاتها نحو خارج شبة الجزيرة العربية. بل واقنعت الكثير من النخبة الارستقراطية العسكرية بشرعية ما تفعله من انتهاكات وقتل وسلب ونهب.

هوامش البحث:

(١) Mpd.ibi.uw.edu.pl/cv/Kennedy/C.V

(٢) Mpd.ibi.uw.edu.pl/cv/Kennedy/C.V

(٣) Academica.edu.21779126/.ed.

(٤) الفتوح العربية ، ٧٧-٧٨. ينظر كذلك: : ارنولد، الدعوة الى الاسلام، ٢٦ وما بعدها، pourshariati, The Decline and fall of the Sasanian Empire, 227.

(٥) سورة النحل، الآية/١٢٥.

(٦) ينظر تفسير الآية الكريمة في : الفخر الرازي، تفسير الرازي،٢/٩٠.

(٧) الفتوح العربية،٧٧.

(٨) سورة النساء، الآيتين/٧٢-٧٣.

(٩) ينظر تفسير الآيتين الكريمتين في: البغوي، معالم التنزيل،١/٤٥١.

(١٠) الفتوح العربية،٧٨.

(١١) سورة التوبة، الآيتين/٣٨-٣٩.

(١٢) ينظر تفسير الآيتين الكريمتين في: الطوسي، التبيان،٥/٢١٨.

(١٣) الفتوح العربية،٧٨.

(١٤) سورة التوبة، الآية/٥.

(١٥) ينظر تفسير الآية الكريمة في : الطبري، جامع البيان،١٠/١٠٠، الجصاص، احكام القرآن،١/٣١٣.

(١٦) الفتوح العربية ، ٧٨.

(١٧) سورة التوبة، الآية/٢٩.

(١٨) ينظر تفسر الآية الكريمة في: الشافعي، احكام القرآن،٥١/٢ وما بعدها، Berchem, La Propriètè Territorlale et L'impot Foncier Sous Les Premiers Califes, 26.

(١٩) ربيع بن البلاد السعدي: لم يقف له الباحث على ترجمة من خلال المصادر التي اطلع عليها.

(٢٠) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٦/٣.

(٢١) سورة آل عمران ، الآية/١٣٣.

(٢٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٦/٣.

(٢٣) الفتوح العربية ،٩٦-٩٧.ينظر كذلك: Watt, Islamic fundamentalism and modernity,15.

(٢٤) حكايات الجواري ،٣٥.

(٢٥) الفتوح العربية،٩٤. ينظر كذلك: Madden, The Concise History of the Crusades,3.

(٢٦) الفتوح العربية ،٧٨-٧٩. ينظر كذلك: ارنولد، الدعوة الى الاسلام، ٢٧-٢٨و٤٩-٥١.

(٢٧) الفتوح العربية،٧٩-٨٠. ينظر كذلك: Wang ,The Origins of Islam in the Arabian Context, 61.

(٢٨) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٧/٣، ابن الاثير، الكامل، ٤٥٦/٢.

(٢٩) الفتوح العربية ، ٧٥.

(٣٠) المغيرة بن زرارة: لم يقف له الباحث على ترجمة في المصادر التي اطلع عليها.

(٣١) كينيدي، الفتوح العربية، ٧٥. ينظر كذلك: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٨/٣،ابن كثير، البداية والنهاية، ٤٩/٧.

(٣٢) كينيدي، الفتوح العربية ، ٧٦. ينظر كذلك: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٧/٣.

(٣٣) الفتوح العربية ،٧٥.

(٣٤) خالد بن الوليد: خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي، أبو سليمان، مات سنة (٢١هـ/٦٤١م). ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب،٤٢٧/٢.

(٣٥) اليعقوبي، التاريخ،٨٩/٢ وما بعدها، Fraser, Historical and Descriptive Account of Persia ,153.

(٣٦) عمرو بن العاص: هو عمرو بن العاص بن وائل بن هشام السهمي، من اقرب

الصحابة لمعاوية واخلصهم له، مات سنة (٤٢هـ/٦٦٢م) او (٤٣هـ/٦٦٣م)، ينظر: خليفة، الطبقات، ٦٦.

(٣٧) ابن عبد الحكم ، فتوح افريقيا والاندلس، ٢٩.

(٣٨) الفتوح العربية،٧٦. ينظر كذلك: لابيدس، تاريخ المجتمعات الاسلامية،٨٢/١، فلوتن، السيطرة العربية، ٢١.

(٣٩) الفتوح العربية ،٧٧.

(٤٠) الطبري، تاريخ الرسل الملوك، ٣٩٠/٢، ابن شهر أشوب، مناقب، ٣٩٣/١.

(٤١) وائل بن حجر: هو وائل حجر بن ربيعة بن وائل بن يعمر الحضرميّ ، يكنى أبا هنيدة، كان قيلا من أقيال حضرموت، وفد على النبي، وعاش حتى زمن معاوية، ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٢٦/٦، ابن عبد البر، الاستيعاب،١٥٦٢/٤.

(٤٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ٢٢٦، القاضي عياض، الشفا، ٧٤/١-٧٦.

(٤٣) ارسل ملوك حمير للنبي يعلموه بإسلامهم وتركهم للشرك وهم: الحارث بن عبد كلال ، ونعيم بن عبد كلال ، والنعمان قيل ذي رعين وهمدان ومعافر، وبعث إليه زرعه بن ذي يزن مالك بن مرة الرهاوي. ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ٣٧٢/٣.

(٤٤) الفتوح العربية ،٨٠-٨١.ينظر كذلك: Watt, Islamic fundamentalism and modernity,17.

(٤٥) الفتوح العربية ، ٨١-٨٢. ينظر كذلك: النابلسي، المال والهلال، ١٥٦ وما بعدها.

(٤٦) اسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الاسلامي، ٦١/١، الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ١٨.

(٤٧) الفتوح العربية،٨٢. ينظر كذلك: اليعقوبي، التاريخ،٩٦/٢، لويس، العرب في التاريخ،٦٩-٧٠.

(٤٨) المثنى بن حارثة الشيباني: هو المثنى بن حارثة بن سلمة بن ضمضم بن سعد الشيباني ينتهي نسبه الى بكر بن وائل وفد على النبي سنة تسع مع وفد قومه، وسيره أبو بكر في صدر خلافته إلى العراق قبل خالد بن الوليد، قتل سنة(١٤هـ/٦٣٥م). ينظر:ابن الاثير، أُسد الغابة، ٢٩٩/٤.

(٤٩) الفتوح العربية، ٨٦-٨٧. ينظر كذلك: الجوزي، من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام،٢٥ .

(٥٠) الفتوح العربية،٨٧. ينظر كذلك: Butzer, Der Umweltfaktor in der großen arabischen Expansion,10.(٥١) كينيدي، الفتوح العربية،٨٧. ينظر كذلك: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٣٢/٣، اسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الاسلامي، ٥١/١.

(٥٢) الفتوح العربية،٨٧. ينظر كذلك: حتي، العرب، تاريخ موجز، ٧٣.

(٥٣) الفتوح العربية، ٨٨. ينظر كذلك: الطبري، تاريخ الرسل والملوك،٣٤/٣.

(٥٤) الفتوح العربية، ٩٥.ينظر كذلك: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٨٣/٣، الكلاعي، الاكتفاء،٥٠١/٢، Hoyland, Dans La Voie de Dieu,3.

(٥٥) سعد بن ابي وقاص: هو سعد بن ابي وقاص بن مالك بن وهيب بن عبد مناف بزهرة بن كلاب بن مرة ينتهي نسبه الى قبيلة قريش وهو من النخبة العسكرية العربية الباكرة، ويكنى أبا إسحاق، ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى،١٣٧/٣.

(٥٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٤/٣، الكلاعي، الاكتفاء، ٤٦٧/٢.

قائمة المصادر والمراجع:

اولاً/ المصادر الاولية:

- القرآن الكريم
- أبن الأثير : علي بن محمد (ت:٦٣٠هـ/١٢٣٢م)٠

١- أُسد الغابة في معرفة الصحابة ، د. ط ، انتشارات اسماعيليان ، (طهران – د.ت).

٢- الكامل في التاريخ ، د.ط ، دار صادر للطباعة ، (بيروت –١٩٦٥م).

- ابن شهر آشوب : محمد بن علي (ت: ٥٨٨هـ/١٢٠٢م).

٣- مناقب آل أبي طالب، د.ط ، تح: لجنة من أساتذة النجف الاشرف، المطبعة الحيدرية، (النجف الاشرف–١٩٥٦م).

- ابن عبد البر ، يوسف بن عبد الله (ت:٤٦٣هـ/١٠٧٠م).

٤- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح: محمد علي البجاوي، دار الجيل، (ببيروت–١٩٩١م).

- البغوي: الحسين بن مسعود (ت: ٥١٠هـ/١١١٦م).

٥- معالم التنزيل في تفسير القرآن، د.ط، تح: خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة، (بيروت– د. ت).

- الجاحظ : عمرو بن بحر (ت:٢٥٥هـ/٨٦٨م).

٦- البيان والتبيين،. المطبعة التجارية الكبرى، (القاهرة–١٩٢٦م).

- الجصاص: احمد بن علي(ت: ٣٧٠هـ/٩٨٠م).

٧- احكام القرآن، تح: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، (بيروت–١٩٩٤م).

- ابن الجوزي : عبد الرحمن بن علي (ت:٥٩٧هـ/١٢٠٠م).

٨- المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تح: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت–١٩٩٢م).

- ابن عبد الحكم: عبد الرحمن بن عبد الله(ت: ٢٥٧هـ/٨٧٠م).

٩- فتوح افريقيا والاندلس، د.ط، تح: عبد الله انيس الطبّاع، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، (بيروت-١٩٦٤م).
- خليفة: خليفة بن خياط (ت: ٢٤٠هـ/٨٥٤م).
١٠- الطبقات، د.ط ، تح: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،(بيروت-١٩٩٣م).
- الفخر الرازي : محمد بن عمر (ت:٦٠٦هـ/١٢٠٩م).
١١- تفسير الرازي ، ط٣، د. مط .(د. مك- د. ت).
- ابن سعد : محمد بن سعد بن منيع (ت:٢٣٠هـ/٨٤٤م).
١٢- الطبقات الكبرى، د.ط ، دار صادر ، (بيروت - د.ت).
- الشافعي: محمد بن ادريس(ت: ٢٠٤هـ/٨١٩م).
١٣- احكام القرآن، د. ط، تح: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، (بيروت-١٩٧٩م).
- الطبري : محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م).
١٤- تاريخ الرسل والملوك، ط٤ ، تح: نخبة من العلماء الإجلاء ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، (بيروت-١٩٨٣م).
١٥- جامع البيان في تأويل القرآن ، د.ط ، د. مط ،(د. مك - د.ت).
- الطوسي: محمد بن الحسن(ت: ٤٦٠هـ/١٠٦٧م).
١٦- التبيان في تفسير القرآن، تح: احمد حبيب قصير العاملي، مكتب النشر الاسلامي، دار احياء التراث العربي، (بيروت-١٧٩٤م).
- القاضي عياض: عياض بن موسى(ت: ٥٤٤هـ/١١٤٩م).
١٧- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، د.ط، دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع، (بيروت- ١٩٨٨م).
- ابن كثير : إسماعيل بن كثير (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م).
١٨- البداية والنهاية ، تح: علي شيري ، دار إحياء التراث العربي ،(بيروت -١٩٨٨م).
- الكلاعي: سليمان بن موسى(ت: ٦٣٤هـ/١٢٣٦م).
١٩- الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والثلاثة الخلفا، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت- ٢٠٠٠م).
- اليعقوبي : احمد بن اسحق (ت٢٩٢هـ/٩٠٤م).
٢٠- التاريخ ، تح : خليل المنصور، دار الزهراء ، (قم - د. ت).

ثانياً/ المراجع الثانوية:

- ارنولد: السير توماس

٢١- الدعوة الى الاسلام، ط٢، تر: حسن ابراهيم حسن واخرون، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة- ١٩٧٠م).

- اسماعيل: محمود

٢٢- سوسيولوجيا الفكر الاسلامي، ط٤، دار سينا للنشر، (لندن- بيروت - القاهرة-٢٠٠٠م).

- الجوزي: بندلي صليبا

٢٣- من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام، ط٢، جمعية الصداقة الفلسطينية- السوفياتية، (د. مك- ١٩٨١م).

- حتي: فيليب

٢٤- العرب، تاريخ موجز، ط٤، دار العلم للملايين، (بيروت- ١٩٩١م).

- الدوري: عبد العزيز

٢٥- مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، مركز دارسات الوحدة العربية، (بيروت-٢٠٠٧م).

- أبو العينين : سعيد

٢٦- حكايات الجواري في قصور الخلافة ، د.ط ، دار أخبار اليوم ، (القاهرة-١٩٩٨م).

- فلوتن: فان ج

٢٧- السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات المهدية في ظل خلافة بني امية، د. ط، تر: ابراهيم بيضون، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (بيروت- د.ت).

- كينيدي: هيو

٢٨- الفتوح العربية ، تر: قاسم عبده قاسم، المركز القومي للترجمة، (القاهرة-٢٠٠٨م).

- لابيدس: ايرا. م

٢٩- تاريخ المجتمعات الاسلامية، ط٢، تر: فاضل جتكر، دار الكتاب العربي،(بيروت- د.ت).

- لويس: برنارد

٣٠- العرب في التاريخ، تر: نبيه امين فارس ومحمود يوسف زايد، دار العلم للملايين، (بيروت- ١٩٥٤م).

- النابلسي: شاكر

٣١- المال والهلال، دار الساقي، (بيروت- ٢٠٠٢م).

ثالثاً/ المراجع الاجنبية:

-Berchem, Max Van:

32- La Propriètè Territorlale et L'impot Foncier Sous Les Premiers Califes, H. Georg , Liberate De L'universite,(Genve-1896).

-Butzer, K.W:

33- Der Umweltfaktor in der großen arabischen Expansion,(Bonn,1957).
-Fraser, James:
34-Historical and Descriptive Account of Persia from the Earliest Ages to the Present Time , Published by Harper and Brothers,(New york, 1834).
-Hoyland, Robert G:
35- Dans La Voie de Dieu,revue de presse, (2019).
- Maddan, Thomas . F :
36-The Concise History of the Crusades, Third Edition, Published by Rowman & Littlefield, (Maryland- 2013).
- Pourshariati, Parvaneh:
37- The Decline and fall of the Sasanian Empire, Published by I.B. Tauris & Co Ltd in association with the Iran Heritage Foundation,(London- New York- 2008).
- Wang, Shutao:
38- The Origins of Islam in the Arabian Context, University of Bergen Department of Archaeology, History, Cultural Studies and Religion,(2016).
- Watt, William Montgomery:
39- Islamic fundamentalism and modernity, Published by Routledge ,(London-1988).

رابعاً/ شبكة الاتصالات الدولية(الانترنت):

40- Mpd.ibi.uw.edu.pl/cv/Kennedy/C.V

41- Academica.edu.21779126/.ed.